

## عن حب قديم



وبعد عشرين صيفاً وسنة، التقينا صُدفة في يوم شتائي، مع شمس ربيعية، في مقهى. تصافحنا على عَجَلٍ، وتجالسنا كفريبين لا يتوقفان إلى توطيد المعرفة. هكذا التقى حباً قدِيماً هذا الصباح. القدر حين يلعب معك سيمضي في لعبه، كعجلة هدايا غير متوقعة، وتعجز عن التعبير. ماذا نفعل، وماذا نقول حين نلتقي بعد غياب طويل حبيباً لم يعود حبيباً، ولم يصبح صديقاً، ولا حتى زميلاً أو حتى عابر سبيل؟ هكذا تلتقي الغائب، وتحدهُ ثمة بلا مشاعر ولا أحاسيس، مع أنك كنت يوماً تعيش معه ولأجله، بأرقّ المشاعر وأعمق الأحساس، والكون لا يتسع لفيم نبضاً لك. رحنا نسرق من بعضنا نظرات متلصصة على ما جرى لنا، نتأمل شعر بعضنا.. الخصلات.. نسترق نظرة إلى الوجه بكل تفاصيله، أو نتجنب النظر إلى يدي حبيب سابق بلمساته.. أو نتحسس رنّة الصوت ونتلقّف مخارج الحروف ونفتّش عن الموسيقى في إيقاعات الكلام. حين نلتقي الحبيب الذي كان ولم يعد له مكان، وحده القلب لا يتأثر. على الرغم من ذلك، يقودنا اللقاء إلى ما بعد اللقاء، حين نعود وحدنا. نركض إلى أقرب مرآة في المصعد الكهربائي لنتأمل الزمن الذي مرّ على كل مسام من جلدنا، نتفحّص الضوء في أعيننا، الارتباك يغمرنا، نرتبك مثل كوكب على مشارف انفجار، كأننا نبكي، ليس للحبيب، وإنما الحب الذي كان وصار زماناً بزمان. حُب قديم تُجالسه ونعلم علم اليقين أنّه لن يتجدد، مات ولن يعود، ولكن حين تراه ترى عمرك على وجهه، كأنّه تشاهد قبر يفتح عنك ليد فنك. حين التقى حباً قدِيماً، لم أبْلُكْ على أطلاله، ولم أشعر بشغف، بقدر ما شعرت بثقل الزمن من

زمني. وما لفتنى أنها تحسّست يدها وتلعثمت بأصا بعها.. عيناها "تأتأ تا" من رموشهما.. النطق صعب.. وكأنّ المفاجأة جعلتها تنتبه لثيا بها.. هل كانت جميلة؟ وبينما انصرفتُ مُوَدِّعاً لها، أعدتُ السؤال على نفسي أنا أيضاً: هل كنت أنا متأنقاً.. جميلاً.. جداً باً.. شاباً؟ علينا أن ننتبه كل يوم إلى أناقتنا، فربما التقينا ذُبهاً قدি�ماً، لذُثبت له أننا مازلنا على قيد الجمال والحياة. لنتتبه إلى تسريحة شعرنا، إلى صحّتنا، إلى رشا قتنا. يجب أن نكون مستعدين كل لحظة، لأنّ الزّمَن قد يُباغتنا ويضعنا في مرآة غير كل أنواع المرايا.. مرآة الزمن التي لا يُحطّمها أحد.